

**سيكوسوسيولوجيا التمكين:
مفاهيم، مقاربات وتجارب**

**The Psycho-sociology of Empowerment: definitions,
approaches and experiences**

د. عبد الله أبو أياد العلوي

**أستاذ التعليم العالي مؤهل بالمعهد الملكي لتكوين
أطر الشباب والرياضة
الرباط - المغرب**

aabouayyad@gmail.com



سيكوسوسولوجيا التمكين: مفاهيم، مقاربات وتجارب

د. عبد الله أبو أياد العلوي

الملخص:

في سياق أصبح فيه الأساسي من التنمية البشرية هو التمكين الفردي والجماعي للقدرات وتحقيق السعادة والرفاه الإنساني، وأضحت التنمية بهذا المعنى ليست هي فقط الطرق والكهرباء والعمارات والتهيئة الحضرية... يأتي هذا المجهود العلمي لدراسة مفهوم التمكين انطلاقاً من زاويتين علميتين، سيكولوجية وسوسولوجية، وعبر استحضار الإطار العلمي الذي أسس لهذا المفهوم من حيث أنواعه، وسيرورة تبلوره تاريخياً، وحضوره على مستوى الاقتصاد الدولي باعتباره أداة حقيقية معتمدة من طرف المنظمات الدولية كأداة للرفع من المردودية والفعالية الإنتاجية، أصول ظهوره وأبعاده المتعددة، ثم حضوره على مستوى خطاب الدين الإسلامي، وفي بعض التجارب المقارنة.

الكلمات المفتاحية: التمكين، الإنسان، التنمية.

Abstract:

In a context in which the essential part of human development has become the individual and collective empowerment of capabilities and the achievement of happiness and human well-being, and development in this sense has become not the roads, electricity, buildings and urban preparation ... this scientific effort comes to study the concept of empowerment from two scientific approaches, psychological and sociological, and through the scientific frame work that founded this concept in terms of its types, its historical development process, its presence at the international economy level as a real tool adopted by international organizations to increase productivity and efficiency, its origins and multiple dimensions, then its presence at the level of Islamic religion discourse, and in some comparative experiences.

Key words: Empowerment, Human, Development.

1- المقدمة:

لم يعد مفهوم التنمية البشرية منحصرًا في البعد الاقتصادي فحسب، ولكنه أصبح شاملًا لمختلف الأبعاد والأنساق، بما فيها البعد البيوعصبي والاجتماعي والثقافي والبيئي. لذلك أصبح الهدف الأساسي من التنمية البشرية هو التمكين الفردي والجماعي للقدرات وتحقيق السعادة والرفاه الإنساني، فأصبحت التنمية بهذا المعنى ليست هي الطرق والكهرباء والعمارات والتهيئة الحضريّة... ولا هي التقارير المحلية أو الدولية، إنّها منح الفاعلين فرصة صقل المواهب والقدرات والكفاءات، ناهيك عن العدل والديمقراطية والإنصاف بين المواطنين بصفتهن ذوات فاعلة، قادرة على تغيير الواقع وتطوير القدرات.

ترمي التنمية البشرية إلى توسيع خيارات المواطنين والإمكانات المتاحة وتمكين الأفراد والجماعات وفق سيرورات متجددة ومتطورة في الزمان والمكان، فلا تنمية دون تمكين ولا تمكين دون حرية: حرية التعبير، وابداء الرأي، والتفكير، والإبداع والمشاركة. وبالتالي، يصبح مفهوم التنمية أوسع من المؤشرات الرقمية الدالة على الولوج إلى الخدمات العمومية من قبيل الصحة والتعليم والدخل الفردي والخدمات الاجتماعية، ذلك أنّ نموذج النمو الاقتصادي (نموذج المؤشرات والأرقام) يقوم على الناتج الوطني الخام، وليس على تحسين القدرات وتطوير الكفاءات، وتمكين الأفراد ليصبحوا قادرين على حل وضعيات معيشية اعتمادًا على مكتسباتهم وقدراتهم الخاصة.

وبناء عليه، يصبح التمكين هو محاولة توسيع مجموع الأفعال والقدرات الممكنة الفردية والجماعية، عبر تقييم وافتحاص الواقع من أجل تجاوز الوضعية السلبية أو الأقل إيجابية.

أنواع التمكين:

- فردي: تملك القدرة على الفعل.
اكتساب المهارات.
- بين فردي: الانتماء إلى الجماعة والفعل.
إنشاء علاقات التضامن.
- سياسي: حسن التصرف.
استهداف الفعالية السياسية.
- سيكولوجي: القوة والفعل في ذهننا "

LE POUVOIR C'EST DANS VOTRE TETE"

SENTIMENT DE POUVOIR est DIFFERENT DU POUVOIR REEL".

"الإحساس بالفعل يختلف عن الفعل والممارسة الواقعية"

● المرادفات الفرنسية لمصطلح "التمكين" المتداولة

- APPROPRIATION DU POUVOIR.
- AUTONOMISATION.
- HABILITATION.
- POUVOIR D'AGIR.
- POUVOIR D'AGIR ET DE REFLECHIR.
- REAPPROPRIATION DU POUVOIR.
- POUVOIR D'INFLUENCE.
- RESPONSABILISATION.
- CAPACITATION.
- EMPOUVOIREMENT.

جدول يوضح سيرورة التمكين وأنواعه:

السيرورة	التوصيف	نوع التمكين
وضعية الانطلاق	العيش في وضعية سلبية تثير غضب واشمئزاز الافراد	فردى / شخصي
وضعية التقدم	دعم وتنمية الوضعية الاجتماعية	بينشخصي
وضعية الدمج	تحليل ومواجهة التحديات والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية	بينشخصي / سياسي
مرحلة الالتزام	تنمية السياسات العمومية لصالح الانسان	سياسي

فالتمكين لم يعد فقط تنمية الملكات والقدرات الفردية والجماعية التي تدفع الفقراء إلى الاختيار، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الطريقة التي تعتمد في العلاقات الاجتماعية بشكل واسع على مستوى المؤسسات حيث سيتم تحويل الاختيارات إلى أفعال.

هذا الوضع والمكانة المركزية التي أصبح يحتلها التمكين في المعاجم الدولية والمرتبطة أساسا بمحاربة الفقر، سينعكس بسرعة على برامج دول الجنوب وسياساتها، ففي سنة 2005 مثلا مول البنك الدولي حوالي 1800 مشروع للتمكين.

2- مصطلح فضفاض لم يتم التراضي والإجماع عنه بعد:

بالرغم من أن التمكن أصبح اليوم مستعملاً بقوة في خطاب التنمية البشرية، إلا أنه غير معرف بشكل دقيق (Exaal, Bodon 1997). فغياب التعريف كان منذ الوهلة الأولى، أي منذ بزوغ المفهوم والاشتغال على تمكين النساء، فهناك من كان يقصد به "التساوي حسب النوع والجنس"، وهناك من كان يسعى من خلاله إلى تعزيز مكانة المرأة. فعندما نعرف المفهوم، التعاريف تختلف من وكالة إلى أخرى ومن منظمة إلى أخرى، أو بالأحرى قد نجد تصورات ورؤى مختلفة عن التمكين داخل المنظمة نفسها، كما اتضح ذلك من خلال التعاريف المختلفة التي قدمها البنك الدولي للتمكين بين 2001 و2005: حيث نجد ثلاثة مفاهيم مختلفة في ثلاثة تقارير رسمية للبنك الدولي.

أما بالنسبة إلى المنظمات الدولية للتنمية فهي تربط التمكين بمقاربات أخرى: الديمقراطية، اللامركزية، والتشاركية والدمج الاقتصادي (Wong 2003).

فمن دون تعريف محدد ودقيق، يصبح التمكين مفهوماً شامعاً، وغير قابل للأجراً على مستوى الميدان (Exaal, Bodon, 1997, Bebdington et alii, 2007). لكن في المقابل لقي المفهوم نجاحاً باهراً من قبل المنظمات، كل يتداوله حسب غاياته وأهدافه كما أشار إلى ذلك Cornwall et Brock 2005، أي أن الطرق قد تختلف والهدف واحد وهو محاربة الفقر. يجعل هذا الأمر جميع التنظيمات تتوافق بشكل أو بآخر على الحد الأدنى من دلالات التمكين، الذي يبعث على الطموح والعدالة وإدراك الأفراد والاهتمام بالحاجات، إنه يحيلنا على الأمل والقيم والعمل الإنساني.

3- تبينة المفهوم: نحو رؤية فردانية ومتناغمة للقدرات:

بالنسبة إلى العديد من الباحثين، وبالخصوص النسويين منهم، كلمة "تمكين" أصبحت مثار إعجاب واستقطاب وكالات التنمية الدولية الخاصة. فإذا كان مفهوم التمكين هو تلك السيرورة المركبة والمتعددة الأبعاد التي تعني بالجوانب الفردية والجماعية للقدرات، فإن استقطاب وهيمنة المصطلح على الخطاب النسوي أصبح شيئاً فشيئاً ينحو نحو فردنة مفهوم القدرات كذلك، حيث أصبح مفهوم التمكين مرادفاً دقيقاً للقدرية الفردية من حيث تحقيق المنجزات وكسب الثقة. يقول بعضهم في هذا الصدد: "إننا نتنقل من التمكين المحرر *libérateur* إلى التمكين التحرري *Liberal* المتمركز حول تعظيم اهتمامات الأفراد واحترامها" (Sardenberg 2008).

وهذا ما أشار إليه Halfon عندما قام بتحليل السياسات والبرامج التمكينية، التي تم وضعها في مؤتمر القاهرة، حيث استنتج أن تمكين النساء ركز أساساً على احترام رهاناتهن وخياراتهن، خصوصاً فيما يتعلق بمنع الحمل، مستبعداً أي نقاش حول الصراعات السياسية الجماعية للنساء من أجل السلطة. فمؤشرات التمكين المستعملة في هذه البرامج تركز على منح الاستقلالية والولوج إلى الخدمة العمومية وسوق الشغل والتربية والتعليم، وتهتم بدرجة أقل بالتعبئة السياسية والمشاركة في الفعل السياسي.

إنّ التمكين الإنساني المرتبط بمحاربة الفقر والهشاشة، جعل المؤسسات الدولية تحاول خلق مشاريع عن طريق المجتمع المدني والجماعات المحليّة أو "جمعيات الفقراء" بهدف تدعيم القدرات المحليّة. فبالنسبة إلى مشاركة الفقراء في سيرورة صياغة المشاريع والسياسات التنموية فإنّها تبقى محصورة في مستوى الإخبار والاستشارة، مع العلم أنّ الأمر يقتصر فقط على فئة قليلة من المنظمات غير الحكومية ONG، التي تعتبر وكالات لتزويل المشاريع فقط، عوض أن تكون فاعلة في السياسات والبرامج¹.

هذا الأمر أثار حفيظة مجموعة من الحركات النسوية في أمريكا اللاتينية وبالخصوص ضد التوجهات النيوليبرالية التي تدعمها وكالات التنمية الدولية.

يقول يونج (Wong) إنّ التمكين ينبغي اختصاره فيما هو فردي وفرداني، بالرغم من أنه على مستوى الممارسة يتم السعي إلى تحقيق التمكين الاقتصادي، وهذا الأمر غير صحيح، لا ينبغي الوقوف على ما هو مادي فقط، إنّ التمكين له بعد سيكولوجي واجتماعي مهم، وهذه المقاربة ستبعدها المنظمات الدولية للتنمية حيث تعتمد على منح القروض الصغرى وبرامج SHG (Self-help group) كآلية وحيدة فقط لتحقيق التمكين. فعند تقييم أثر هذه البرامج على التمكين النسائي بالخصوص، يتضح أنّ الولوج إلى الموارد المادية والمالية يبدو كافيا على مستوى التمكين الاقتصادي، ويمتدّ ذلك إلى التمكين الاجتماعي، ولكن على مستوى الميدان، تُظهر النتائج أنّ التمكين المادي ليس له تأثير على البعد النفسي للمعنيين من حيث رضاهم السيكولوجي وثقتهم في مستقبلهم، حيث نجد أنّ تسديد الأقساط الشهرية للديون هي السمة المسيطرة على مجموعات المساعدة الذاتية Self-help group. هذا الأمر يجعل نسبة الأنظمة التربوية والتعليمية ضئيلة جدا، بالرغم من أنّ الولوج إلى القروض يتم بشكل إجباري من طرف النساء، لكن المستفيد منها هم الرجال حيث يسلمونها لهم ويبقى عبء العمل وتحمل مشاق تسديد الديون من نصيب النساء.

4- التمكين: مفهوم أداة لخدمة Statu quo:

إذا كان مفهوم التمكين في جذوره يمثل استراتيجية منافية للنموذج التنموي المبني على قاعدة من أعلى إلى أسفل top down، فإنّه اليوم أداة حقيقية معتمدة من طرف المنظمات الدولية كأداة للرفع من المردوديّة والفعاليّة الإنتاجية وفق نموذج statu quo أكثر منه آلية للتغيير الاجتماعي (paspart 2002)، وبالتالي فالمنظمات الدولية لا تعطي أهمية كبرى للتغيرات التي تحصل على علاقات القوة والسلطة في المجتمع لصالح الفقراء أكثر ما تهتم بخلق فرص ومجالات تمكن الفقراء من الولوج إلى سوق الشغل. فالبنك الدولي العالمي مثلا يفرض تصورات فعالة لتمكين الفقراء من الإسهام في تنميتهم الذاتية، أكثر من وضع تصورات لتنمية سلطة الفقراء (Wong 2003, Mohan, Stoke 2000). وهذا ما ورد في تقرير 2001/2000 للبنك الدولي حول التمكين: "إنّ الهدف من التمكين هو تقوية الفاعلين من الفقراء ليصبحوا أكثر فاعلية من

1-Cling, Razafindrakoto, Roubaud 2002, Bendana 2007, page 115.

الماضي في سوق الشغل"¹. في الميدان، ومن خلال الدراسات التي قامت بها المنظمة النسوية الهندية Nirantar حول SHG تبين أنه بالرغم من الهدف الأساسي للتمكين النسائي في تنمية القدرات، فإن ولوج سوق الشغل أصبح ممكنا جدا مع هذه الآلية المعتمدة والمتمثلة أساسا في التمكين النسائي. كما أثبتت العديد من الدراسات في هذا الاتجاه بأن برامج التمكين المعلنة تحت يافطة "إشراك الفقراء" قلصت من نسبة القروض الصغرى ومن البرامج المسطرة من طرف الجهات العليا top down حيث بين Halfon في سنة 2007 أنّ النساء لم تعد تستفدن من الدعم المالي أكثر من أتهن أصبحن قادرات على خلق قدراتهن بذواتهن. وهذا ما ظهر كذلك في تحليل Pareira سنة 2008 عن مجلة National Economic Empowerment (NEED) development strategy الذي تم اعتماده من طرف الحكومة النيجرية بين 1999 و2007. إنّ كل هذه البرامج كانت تسير وفق مقارنة statu quo حيث يتم تدبير الواقع أو الوضع الحالي من خلال اعتماد مقاربات تمكينية والتي تتجلى أساسا في:

- التمييز الإيجابي.
- التغييرات التشريعية والقانونية.
- محاربة الأمية.
- التكوين بالمواكبة.

بالنسبة إلى المنظمات الدولية، التمكين ليس سيرة للتحويل التصاعدي bottom-up الطويل الأمد وغير قابل للقياس، بل إنه حالة ونتيجة وهدف محدد سلفا يمكن قياسه بمؤشرات (Genda SMART empowerment measure) من قبيل: مشاركة النساء (PNUD) ومؤشرات البنك الدولي من قبيل الربط بشبكات الماء، مستوى التغذية بالمنازل. ولكن ما يلاحظ أنّ البنك الدولي لم يهتم بالوسائل والآليات الخاصة للوصول إلى هذه المؤشرات. ذلك أنّ التمكين لا يمكن قياسه بمؤشرات معيارية ونمطية محدودة من طرف الجهات العليا، ولا يمكن تطبيقها على الكل. كما تم ذلك مع "أهداف الألفية" لأن فلسفة التمكين هي أن نترك المعنيين يحددون أهدافهم الخاصة في الميدان من خلال وضعياتهم المعيشية وترتيباتهم اليومية.

إنّ جينياالوجيا مفهوم التمكين في مجال سوسيوولوجيا الفعل والتنمية تبين أنّ للمفهوم أبعاد فلسفية ووجودية، تركز في اهتمامها على الفئات المهمشة والهشة في تجاوز واضح للنموذج "العمودي" الذي تم اعتماده منذ 70 القرن الماضي. وبالتالي تم اعتماده كمقاربة تنموية من طرف المنظمات الدولية للتنمية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، تم تأسيس منظمة خاصة بمدينة شيكاغو سنة 1940 تحت عنوان: Industrial Areas Fondation (IAF) من عالم اختصاصي في الجريمة Saul Alinsky. حيث تمكن من

1 -تقرير البنك الدولي 2001/2000، ص 46.

تأسيس حوالي ستين مؤسسة في مختلف الأحياء المهمشة¹، لكن هذه المؤسسات لم تحقق أهداف التمكين بسبب ارتفاع معدل الجريمة، وعدم انسجام هذه البرامج التمكينية مع رغبات الساكنة، مما جعل هذه المؤسسات تعتمد مقاربات أخرى للتغيير بعنوان: "الكثير من اللطف لا يقود إلى التغيير" (there is no nice, polite way to get change).

أما في فرنسا، فهناك نموذج أثار الانتباه كثيرا، لأنه يهتم منطقة ذات خصوصية، والذي تمت برمجته وتنفيذه من طرف بلدية Courneuve بمدينة Saint Denis: حيث قام فريق من المستشارين بقيادة وتنشيط الساكنة عبر ورشات في الميدان إلى جانب المستفيدين من أجل إشراك الساكنة في تدبير ثلاثة مشاريع خاصة بالتهيئة الحضرية².

هذه الأبحاث ساعدتنا على اكتشاف مجموعة تدعى "مجموعة الثلاثاء" من حي يدعى Minguettes بمدينة Lyon، هي عبارة عن نواة لساكنة تشتغل منذ 15 سنة برفقة متدخلين اجتماعيين. فمن خلال الحديث مع مجموعة مكونة من فئات عمرية مختلفة ومن أحياء مختلفة، اتضح غضب واستياء الساكنة ضد غلاء رسوم إيجار السكن.

ولكن في المقابل، هناك أمثلة مضادة لهذه النماذج في الولايات المتحدة الأمريكية، ظهرت سنة 1994 تسمى أحياء التمكين أو مناطق التمكين برعاية من حكومة الرئيس Clinton، تسعى بالأساس إلى التجديد الحضري والعمراني وتقوية قدرات الساكنة.

فعلى الرغم من أن الحكومة وجدت صعوبة لتجاوز هذا الوضع، فإن الرئيس بوش Bush ابتكر توجهات جديدة باسم opportunity zones متمحورة حول الإصلاحات الضريبية والنجاح المدرسي، لكن هذه التجربة لم تدم طويلا حيث لم تتجاوز مدتها ثلاث سنوات في خليج Boston مثلا.

المشاريع الطموحة يصعب تنزيلها أحيانا، بسبب صعوبة الأنشطة المبرمجة في الأحياء الهامشية، أو بالأحرى في المدن ذات الكثافة المرتفعة. ففي الولايات المتحدة نلاحظ توسع الأنشطة غير المدرة للدخل من طرف بعض الجمعيات، وهذا ما وجدناه فعلا في خليج "بوستون" عندما التقينا بجمعيات نشيطة في مساعدة الأشخاص ذوي الصعوبات.

في فرنسا النماذج تظهر أقل وضوحا خصوصا فيما يتعلق بالمشاريع الصغرى لمحاربة البطالة، ولكن يمكن أن نجد مشاريع مختلفة على امتداد التراب الفرنسي، نذكر هنا على سبيل المثال: مشروع "إعادة التأهيل الذاتي بالمواكبة" بمنطقة Mureaux، حيث يقوم السكان بإعادة هيكلة وإصلاح منازلهم تحت تأطير تقنيين ومساعدين اجتماعيين، وهذه العملية تتم بدعم من البلدية المحلية.

1-Edward. T CHAMBERS, Roots for Radicals, organizing for power, Action, and justice, NEW YORK, continuum 2003, page 31.

2-Cet exemple, y compris avec ses difficultés, est détaillé par Monique CRINON «la place des habitants dans les projets urbains» in Profession Banlieue, la conduite des projets de renouvellement urbain, 2005, page 47-52.

في الولايات المتحدة الأمريكية المؤسسات والأنشطة المحلية في مجال التمكين والتنمية تعطي فرصة لما يمكن أن نسميه "Community based development model" "modèle de développement communautaire" لنذكر هنا مثلا هيئة CDC "Community development corporation" حيث يعمل السكان بشكل مستقل عن البلدية بعد انتخاب مكتب يمثلهم في الهيئة¹: نشاطهم الأساسي هو دعم التجار الصغار والمتنقلين وإعادة تأهيل السكن للفئات الهشة (حوالي خمسمئة سكن في السنة بخليج بوستون). CDC تشتغل كذلك في مجالات أخرى من قبيل مناهضة العنف والجريمة والأنشطة السوسيوثقافية. CDC هي بنيات غير مدرة للدخل ومحايدة سياسيا إلا أنها تتأثر بالسياق الاقتصادي والسياسي العام، (حوالي 2000 مؤسسة CDC موجودة حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية).

التمكين² هو منح أكبر قدر من السلطة للأفراد والجماعات من أجل تغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية التي تعيشونها³. فالتمكين هو أخذ السلطة وصنع القرار بين الأفراد دون موافقة الجهات الرسمية أو الحكومية.

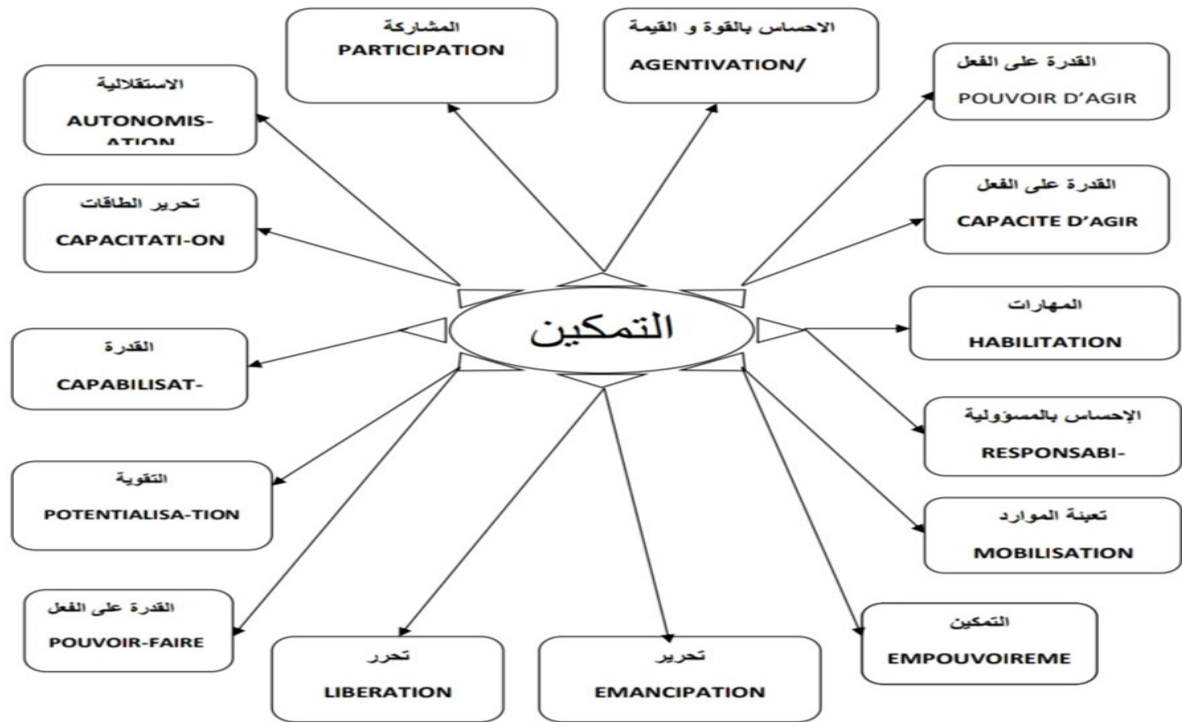
ظهر مصطلح التمكين* منذ بداية القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية في سياق القضاء على الفقر والتمييز. ثم بعد ذلك بدأ المفهوم يستعمل بتصورات واسعة وغير واضحة يوحى في جزء كبير منها إلى المشاركة. أما على مستوى المؤسسات الدولية، فالتمكين يستعمل في سياق النظام الليبرالي الجديد. ولهذا فالمفهوم أصبحت له امتدادات للحد من الفقر في إطار السياسات التنموية.

1- Cette originalité explique sous doute pourquoi différents chercheurs français s'y sont intéressés voir notre propre ouvrage : «Travailler avec les quartiers en difficultés, op. cit, page 63 -

2Origine du terme, d'après le OnlineEtymologyDictionary de Douglas Harper. « empower V 1650.

Power Related : Empowered, empowering ; empowerment.

3-Voir aussi Sylvia Zappi "l'empowerment, nouvelle horizon de la politique de la ville. Le Monde, Fr 7 février 2013.

جدول مصوريوضح المفردات المرادفات للتمكين¹:

5- أصل التسمية في أمريكا الشمالية:

يقول Bernard Vallerie²، أنّ التداول الأول لمصطلح التمكين في الولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى بداية القرن العشرين، حينما تم استعماله من طرف النساء حين كنّ يدافعن عن حقوقهن الأساسية. إذ نجد هذا المصطلح في مناهج التنظيمات الاجتماعية لـ Saul Alinsky³ منذ 1930 ثم بعد ذلك في حركات الدفاع عن الحقوق المدنية خلال سنة 1960.

في سنة 1965 سيتم استعمال مصطلح التمكين من طرف الباحثين المشتغلين على سيكولوجيا الجماهير، ثم بعد ذلك تم تداوله في برمجة السياسات العمومية ضد الفقر. وهكذا أصبح التمكين يستعمل شيئاً فشيئاً في مجالات متعددة.

1-Martin Gobriel, l'empowerment : d'autonomisation à agentivation le collectif, vol 40 n° 2, 20 septembre 2016, p 15.

* l'expression désigne le processus qui permet aux individus de prendre conscience de leur capacité d'agir et d'accéder à plus de pouvoir.

2-Bernard Vallerie ; Chercheur associé université Pierre Mendès France.

3-Marie Hélène Bacqué; Chercheur associé université Pierre Mendès France

في الكيبك مثلا، تستعمل الجمعيات النشيطة في مجال محاربة الفقر مرافق التمكين للتخفيف من العبء الاجتماعي والاقتصادي للأوساط المهمشة.

انتقال المصطلح إلى الأدبيات الفرنسية:

بالرغم من ظهور المصطلح في الكيبك منذ 1960، إلا أنّ التمكين بقي لمدة مفهوما يصعب ترجمته للغة الفرنسية، فبالنسبة إلى Marie Héléne Bacqué¹، "فالأمر يتعلق بسيرورة يتمكن خلال الأفراد أو الجماعات من اكتساب الآليات التي تمكنهم من تقوية قدرتهم على الفعل". أما بالنسبة إلى Bernard Jouve² "فالتمكن فعل إجرائي يقتضي تكوين مجموعات من أجل إبراز قدرات الفاعلين الاجتماعيين الذين يتقاسمون نفس الإشكاليات"³ تضيف كذلك Marie Héléne Bacqué و Biewener Carol³ في كتاباتها أنّ مصطلح التمكين ظهر في فرنسا سنة 2000 كـ "نموذج مثالي للديمقراطية التشاركية" ومقاربة جماعية للتدخل الاجتماعي".

في مجال قيادة الجماعات، يتمركز التمكين حول ثلاثة محاور:

■ التصور vision

■ الاستقلالية autonomie

■ التملك appropriation

فالفئة المستهدفة تعرف توجهاتها بمعنى تملك تصورا وتشتغل بإرادتها الخاصة أي أنها مستقلة. كما أنها تشتغل بحقها في ممارسة الفعل والنشاط.

فالتمكن يقتضي التكوين وتدبير الموارد ولهذا فدور المدبر يبقى محصورا فيما يلي:

❖ تهيئ وتقبل المخاطر.

❖ إعداد المستخدمين من خلال عملية التكوين.

❖ تحديد صعوبات المقاربة.

❖ التتبع الفردي لكل عامل على حدة.

❖ تثمين مجهودات العاملين الأوفياء.

قام YANN LE BOSSE أستاذ مؤهل في علوم التربية بمختبر تنمية القدرات والممارسات بجامعة LAVAL، بتجربة من خلالها انتقل بالتدخل التمكيني من الممارسة إلى التقعيد الأكاديمي، إذ خلص إلى ما يلي:

1-Saul Alinsky (1909/1972), sociologue American Fondateur du groupement d'organisateur de communauté.

2-B. Jouve, politiques publics et empowerment, l'exception française, économie et humanisme, N° 379 décembre 2006, page 99.

3-Marie Héléne Bacqué, Carole Biewener, la découverte mai 2015, introduction: pourquoi l'empowerment ?

- لا يمكن التمييز أو الفصل بين الفئات المهمشة كذوات فاعلة ووضعياتها المعيشية كسياقات للفعل الإنساني.
- لا يمكن أن نمارس الفعل محل الآخرين لأن في ذلك إقصاء لهم، واستبعاد لقدراتهم، علينا أن نشركهم في عمليات التدخل الاجتماعي من أجل التمكين الفعلي.
- تنمية ذكاءات الفاعلين ترتبط بالوضعيات التي ينشطون فيها أو يعيشونها باستمرار. بالإضافة إلى أنّ العمل الاجتماعي مع الأفراد والجماعات يكتسي حلة التمكين من خلال استدراج الأشخاص إلى تغيير أوضاعهم إلى الأحسن، وحثهم على أنهم ليسوا الوحيدين الذين يواجهون الصعوبات.
- منح الثقة للأفراد من حيث إمكانياتهم ومؤهلاتهم الفكرية والبدنية، من أجل تحسين شروط حياتهم، وهذا الأمر يتطلب الاشتغال على ظروف السكن والشغل والتعليم في علاقة مع الموارد المتاحة.
- اقتراح أنشطة ترفيهية للأطفال والمراهقين في نهاية الأسبوع باتفاق مع آبائهم وأوليائهم من أجل تقاسم اللحظات السعيدة والمتعة وإكسابهم القدرة على تنظيم الوقت.

6- أبعاد التمكين:

- ✓ التحفيز: بوصفه بناء افتراضي يستعمل من أجل تشخيص القوى الداخلية أو الخارجية التي ينتج عنها تغيير السلوك من خلال التواصل مع الآخرين.
- ✓ وضوح الهدف: نقصد به الأهداف الخاصة للفاعلين والمتعلقة أساسا بتحسين الوضعية.
- ✓ الأخلاقيات: وتشمل الثقة المتبادلة بين الفاعل والمؤسسة ومرونة السياسات والبرامج، وتقدير الإنجازات والمجهودات، وتقدير الاختلافات الفردية، ومراعاة الفروقات عند توزيع المهام والأدوار.
- ✓ العدالة والإنصاف: من أهم مؤشرات هذا المحدد هو درجة الرضا الوظيفي، بالإضافة إلى الانخراط والمشاركة في الأنظمة من قبل الفاعلين، وكذلك نذكر ثقتهم في الفعل التنموي ومستوى مردودية المؤسسة.
- ✓ العمل في الفريق أو العمل الجماعي: هو الاشتغال مع مجموعة أفراد يسلكون نظام وبناء مترابط، ولديهم هدف مشترك حيث يتبادلون المعلومات والمصالح.
- ✓ المشاركة: تعني إشراك المعنيين في صنع القرار عن طريق التواصل وتبادل الآراء حول المشكلات والتعثرات التي تعترضهم حين مناقشتها، وتقديم الاقتراحات بشأنها.
- ✓ بنية العمل: ويقصد بها مجموعة الخصائص الداخلية للمؤسسة ومحيطها والتي تنعكس على مستوى أداء الفاعلين.

7- الإسلام والتمكين:

التمكين مصطلح ذو مرجعية دينية، ويمكن رصده في النص المقدس على النحو الآتي:

الآيات القرآنية	الرقم والسورة	رقم الصفحة من التفسير	تفسير الآيات
أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَتَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخِرِينَ	سورة الأنعام الآية 7	الصفحة 329 الجزء الأول	- أي ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم الأنبياء ألم يعرفوا ذلك. - مكناهم....: من أسباب السعة والعيش والتمكين في الأرض ما لم نعظكم يا أعل مكة. - وجعلنا...: أي من تحت أشجارهم ومنازلهم حتى عاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار. - فأهلكناهم...: أي كفروا وعصوا فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وهذا ما أصاب أهل هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم في الأرض. - وأنشأنا من ...: أي أحدثنا من بعد إهلاك المكذبين قوما آخرين غيرهم.
وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ	سورة الأعراف الآية 9	الصفحة 381 الجزء الأول	ولقد مكناكم في الأرض: أي جعلنا لكم أيها الناس في الأرض مكانا وقرارا قال البيضاوي: أي مكناكم من سكنها وزرعها والتصرف فيها (البيضاوي ص: 160) وجعلنا لكم فيها معاش: أي ما تعيشون به وتحبون من المطاعم والمشارب وسائر ما تكون به الحياة. قليلا...: أي ومع هذا الفضل والأنعام قليل منكم من يشكر ربه كقوله "وقليل من عبادي الشكور".
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ	سورة يوسف الآية 56	الصفحة 50 الجزء الثاني	وكذلك مكننا...: أي وهكذا مكننا ليوسف في أرض مصر وجعلنا له العزة والسلطان بعد الحبس والضيق. يتبع منها...: أي يتخذ منها منزلا حيث يشاء ويتصرف في المملكة كما يريد.

<p>نصيب برحمتنا...: أي نخص بأنعامنا وفضلنا من نشاء من عبادنا ولا نضيع...: أي لا نضيع اجرا من أحسن عمله وأطاع ربه بل نضاعف له.</p>			<p>وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ</p>
<p>أي يسألك اليهود يا محمد عن طي القرنين ما شأنه؟ وما قصته؟ قل "سأتلو عليكم منه ذكرا". أي سأقص عليكم من نبأه وخبره قرآنا ووحيا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا.</p>	<p>الصفحة 179 الجزء الثاني</p>	<p>سورة الكهف الآية 83</p>	<p>إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا</p>
<p>أي يسرنا له أسباب الملك والسلطان والفتح والعمران وأعطيناه كل ما يحتاج إليه للوصول إلى غرضه من أسباب العلم والقدرة والتصرف، قال المفسرون: ذو القرنين هو "الاسكندر المقدوني" ملك المشرق والمغرب فسعي ذا القرنين وكان ملكا مؤمنا مكن الله له في الأرض فعدل في حكمه وأصلح، وكان في الفترة بين عيسى ومحمد صوات الله عليهما. روي أن الذين ملكوا في الأرض أربعة: مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسليمان وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر. (البحر 6/157)</p>	<p>الصفحة 179 الجزء الثاني</p>	<p>سورة الكهف الآية 82</p>	<p>وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا</p>
<p>قال ما مكني: أي ما بسطه الله علي من القدرة والملك خير مما تبدلونه من المال. فأعينوني بقوة...: أي لا حاجة لي إلى المال فأعينوني بالأيدي والرجال. أجعل بينكم...: أي أجعل بينكم وبينهم سدا منيعا، وحاجوا حصينا وهذه شهامة منه حيث رفض قبول المال وتطوع ببناء السد واكتفي بعون الرجال.</p>	<p>الصفحة 180 الجزء الثاني</p>	<p>سورة الكهف الآية 91</p>	<p>قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا</p>
<p>قال ابن العباس: هم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، والمعنى: هؤلاء الذين يستحقون نصره الله هم الذين إن جعلنا لهم سلطانا في الأرض وتملكا</p>	<p>الصفحة 256 الجزء الثاني</p>	<p>سورة الحج الآية 39</p>	<p>الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا</p>

<p>واستعلاء عبدوا الله وحافظوا على الصلاة وأداء الزكاة.</p> <p>وأمرنا بالمعروف... أي دعوا إلى الخير ونهوا عن الشر.</p> <p>ولله عاقبة الأمور: أي مرجع الأمور إلى حكمه وتقديره.</p>			<p>بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ</p>
<p>وعد الله... أي وعد الله المؤمنين المخلصين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح.</p> <p>ليستخلفنهم... أي وعدهم بميراث الأرض أن يجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم، كما استخلف المؤمنين قبلهم فملكهم ديار الكفار.</p> <p>قال المفسرون: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في لأمتهم – أي سلاحهم – فقالوا أترون إننا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نجاف إلا الله عز وجل!! فنزلت الآية "زاد المسير 57/6" وهطا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغارها لهذه الأمة وفي الحديث بشارة كذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم:</p> <p>"إن الله قد زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغارها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها". رواه مسلم</p>	<p>305 الصفحة الجزء الثاني</p>	<p>سورة النور الآية 53</p>	<p>وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ</p>
<p>وليمكنن لهم... أي وليجعلن دينهم – الإسلام – الطي ارتضاه لهم عزيزا مكينا عاليا على كل الأديان.</p> <p>وليبذلنهم من بعد خوفهم... أي ليغيرن حالهم التي كانوا عليها من الخوف والفرع إلى الأمن والاستقرار كقوله "وأمنهم من خوف" (قريس:4).</p> <p>يعبدونني لا يشركون بي شيئا: استئناف بطريق الثناء عليهم كالتعليل للاستخلاف في الأرض أي يوحدونني ويخلصون لي العبادة. لا يعبدون غيري.</p>	<p>180 الصفحة الجزء الثاني</p>	<p>سورة النور الآية 53</p>	<p>وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ</p>

8- تجربة: التمكين والجينوم:

عنوان الدراسة: تأثير الجينوم على التمكين التعليمي.

صاحب الدراسة: كاثرين أسبري.

ـ روبرت بلومين.

ترجمة: ضياء وراء.

مراجعة: نيفين عبد الرؤوف.

الطبعة: 2017

رقم الإيداع القانوني: 3924/2017

مؤسسة هند اوي للتعليم والثقافة مصر.

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: [http:// www.hindawi.org](http://www.hindawi.org)

تخصص الباحثان: علم الوراثة السلوكي.

أهداف الدراسة:

- تحديد نوع العلاقة بين الجينوم (المكون الوراثي) والتمكين المعرفي.
- استغلال الدروس المنتقاة من أبحاث الجينات في طرق التدريس.
- تحديد الكيفية التي يتفاعل بها ADN مع الخبرات التي يكتسبها المتعلم في المنزل والمدرسة.
- تطبيق الاكتشافات المتعلقة بالجينات في علاقة مع التمكين التعليمي، في الرفع من جودة التعليمات لتحقيق النجاح المدرسي.

امتدادات الدراسة:

- جعل علم الوراثة جزءا جوهريا في برامج تكوين المدرسين والمربين عامة.
- مواكبة منظومة التربية والتكوين للتطورات التي تعرفها الأبحاث في مجال علم الوراثة والتعلم.

تمويل الدراسة:

- الأكاديمية البريطانية.
- معاهد الصحة الوطنية الأمريكية.

نبذة عن الباحثان:

❖ **كاثرين أسبري:** أستاذة محاضرة بمركز علم النفس والتعليم في جامعة يورك بالمملكة المتحدة، وقد نشرت الكثير من الأبحاث العلمية حول تأثير بيئة المنزل والمدرسة على تحصيل الأطفال وسلوكهم وسعادتهم.

❖ **روبرت يلويمين:** أستاذ علم الجينات السلوكي بمركز الطب النفسي والاجتماعي والجيني والتنموي بمجلس الأبحاث الطبية في جامعة كينجر كوليدج لندن بالمملكة المتحدة، وهو المؤسس والباحث الرئيسي لدراسة التطور المبكر للتوأم.

خلاصات الدراسة:

إنّ الهدف من التعليم هو منح جميع المتعلمين الأدوات الأساسية التي هم في حاجة إليها لأداء وظيفتهم في المجتمع، وفي أغلب الحالات تتشكل هذه المهارات والقدرات من القراءة والحساب والكتابة والقدرة على التفاعل والتواصل عن طريق التقنيات الرقمية.

فقد توصلت الأبحاث التي تناولت الأنواع الثلاثة للاقتزان بين النمط الجيني والبيئة والتمكين التعليمي: أنّ قابلية التأثير بالاختلافات على مستوى الجينات بين الأطفال هي مدخلا رئيسيا لتحقيق النجاح المدرسي عبر تقديم تعليم متخصص حقيقي من خلال:

- حجرات دراسية مصممة من أجل احتضان الإبداع والنمو الشخصي.
- فهم علاقة الوراثة بالسلوكيات المختلفة.

إنّ معاملة الأطفال بصفتهم صفحات بيضاء أو أوعية فارغة واستخدام أساليب ومناهج تعليمية تشبه الإنتاج في المصنع وتوحيد الأهداف ذاتها بشكل استبدادي، هي تصورات تعرقل النمو الطبيعي للأطفال، إنّ جودة التعليم مرتبطة بمدارس مصممة بشكل يستجيب للاختلافات الفردية والطبيعية والقدرات ومراحل النمو.

لقد حان الوقت لتغيير الوضع، حان الوقت لاقتحام علماء الوراثة والجينات في فريق التدريس أو إعداد البرامج والمخططات التربوية فعلى سبيل المثال:

سيمكن قريبا استخدام تقنية رقاكات ADN للتنبؤ بنقاط القوة ومواطن الضعف واستخدام هذه المعلومات من أجل تطبيق استراتيجيات متخصصة من أجلهم، هذه التقنية تستخدم أيضا في مجال الطب والمناعة وحان الوقت لإدراجها في حقل التعليم.



المراجع:

- 1- -تقرير البنك الدولي 2001/2000.
- 2- -Bernard Jouve, politiques publics et empowerment, l'exception française, économie et humanisme, N° 379 décembre 2006.
- 3- -Cling, Razafindrakoto, Roubaud 2002, Bendana 2007
- 4- -Edward. T CHAMBERS, Roots for Radicals, organizing for power, Action, and justice, NEW YORK, continuum 2003.
- 5- -Marie Hélène Bacqué, Carole Biewener, la découverte mai 2015, introduction : pourquoi l'empowerment ?
- 6- -Martin Gobriel, l'empowerment : d'autonomisation à agentivation le collectif, vol 40 n° 2, 20 septembre 2016.
- 7- -Monique CRINON «la place des habitants dans les projets urbains» in Profession Banlieue, la conduite des projets de renouvellement urbain, 2005.
- 8- -Saul Alinsky (1909/1972), sociologue American Fondateur du groupement d'organisateur de communauté.
- 9- -Sylvia Zappi "l'empowerment, nouvelle horizon de la politique de la ville. Le Monde, Fr 7 février 2013.